صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد[٢٠]. الّا ان التيار العسكري القومي كان بحاجة الى قيادة سياسية توجّهه؛ وكان الانسب لتبوّؤ هذه القيادة، من وجهة نظر المفتي، هو رشيد عالي الكيلاني دون سواه؛ وذلك يعود لاعتبارات عدّة، في المقدم منها دور الكيلاني القومي، وقوة ووضوح العلاقة بينه وبين المفتي. وتعود جذور تلك العلاقة الى سنة ١٩٣٥/١٩٣٦، عندما قررت الحكومة العراقية مناصرة الثورة الفلسطينية، وخصّصت لهذا الغرض عشرة آلاف دينار شهرياً؛ كما فتحت المجال للعراقيين من أجل التطوّع للقتال في صفوف الثورة الفلسطينية. وكان لرشيد عالي الكيلاني دور بارز في هذا المجال؛ اذ تعرّف على المفتي ووطّد العلاقات معه.

وزارة الكيلاني الثالثة

بتكليف رشيد عالي الكيلاني بتشكيل الوزارة العراقية (٣١/٣/١٩٤٠)، وصل التيار القومي العراقي، وحلفاؤه العرب، الى نقطة هامّة ومفصلية. وكان الكيلاني حدّد نقاط الخطة التي ينوي السير عليها بما يلي:

١ ـ المحافظة على الصلات التقليدية مع البريطانيين، على أساس المعاهدة العراقية ـ البريطانية سنة ١٩٣٠.

٢ ـ عدم التساهل تجاه المطالب البريطانية التي تخرج على نصوص المعاهدة، الّا بما يضمن مصلحة للعراقيين، بالنظر الى ما تتطوّر اليه حالة الحرب، أو ما كان فيه ضمان لاستقلال العراق ووحدة العرب واستقلالهم، خاصة فلسطين وسوريا، على ان تعطى، في هذا الخصوص، عهود ومواثيق رسمية.

٣ ـ تزويد الجيش العراقي بالسلاح من أي مصدر كان، وعدم التردّد في هذا الامر، ما دام البريطانيون لا يتمكّنون من تجهيز الجيش العراقي بالسلاح.

٤ ـ النظر في أمر اعادة الانتخابات العامّة على أساس يؤمّن للمجلس النيابي أعضاء أحراراً يمثلون الأمّة، ويعبّرون عن رأيها، لا عن رأي الحكومة[٢١].

وأكد الكيلاني، في مداولاته مع القادة العسكريين قبل طرح خطته، تلك، على الملأ، انه يجزم في السير على تلك الخطة، وانه لن يحيد عنها قيد شعرة؛ وخاطب القادة، قائلاً: «اذا اتفقتم معي، فهذه يدي أمدّها اليكم، وسماحة المفتي كفيلي؛ واني أقسم على ذلك مقابل عهدكم لي بأن تلزموا جانب الحق»[٢٢].

نالت خطة الكيلاني رضاء قادة الجيش، وكان واضحاً في أذهانهم ان هذه الخطة لن تؤثر في التوجّهات القومية للحكومة، ولن تعيق تطوّر، ونمو، التيار القومي داخل الجيش، وتوطيد أواصر العلاقات بينهم وبين الحركة الوطنية الفلسطينية.

في هذا السياق، لا بدّ من التأكيد ان ثمّة عوامل متعدّدة حملت وزارة الكيلاني على اتخاذ طابع قومي واضح؛ لعلّ أولها هو تزعّم الكتلة القومية للجيش العراقي، التي كان على رأسها العقداء الاربعة، أو ما اصطلح على تسميتهم آنذاك، بـ «المربّع الذهبي»، وهم العقداء كامل شبيب وصلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد. ولم يكن تزعّم تلك الكتلة للجيش وليد صدفة، وانما يرجع، في الاساس، الى ان بناء الجيش العراقي، ذاته، كان، منذ البداية، بناء قومياً واضحاً؛ اذ